الإمام موسى الكاظم عليه السلام ودورهُ الفكري والتربوي 148-183هـ/765-800م

م.م. علاء ابراهيم رزوقي
جامعة بابل / كلية التربية الاساسية

الفصل الأول

إطلالة مختصرة على حياة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

ولادته

هو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) السابع من أئمة أهل البيت، وأمه حميدة البربرية أوالمصفاة[1]، ولد بالابواء[2] في شهر صفر سنة 128هـ -745م في أيام حكم عبد الملك بن مروان وكانت مدة إمامته 35 عاماً. واستشهد سنة 183هـ -800م

ومن القابه: الكاظم، الصابر، الزاهر، العالم، العبد الصالح، باب الحوائج.

اولاده: له سبعة وثلاثون، ثمانية عشر ابناً، وسبعة عشر بنتاً أشهرهم:الإمام الرضا (ع) والقاسم واحمد ومحمد العابد وحكيمة التي تولت ولادة الإمام الجواد (ع) وفاطمة المعصومة ومرقدها في إيران.

من زوجاته: السيدة الجليلة ((تكتم)) [1]أم الإمام الرضا (ع)

صفته: كان اسمرا شديد السمرة، معتدل القامة، كث اللحية، حسن الوجه، نحيف الجسم، له هيبة وجلال. (المفيد، 2007، ص435) (الطبرسي، 1970، ص294) (ابن الصباغ، 1962، ص218)

علمه:-

قد شهد له أبوه الصادق (ع)بوفور علمه فقال عنه ((أن ابني هذا لوسألته عما بين دفتي المصحف لاجابك فيه بعلم)) وقال ايضاً ((وعنده علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج اليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم)) (ابن عاشور، 2005، ص27). وقال الشيخ المفيد: وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى فأكثروا وكان افقه أهل زمانه (المفيد، 2007، ص423).

وعن داود بن قبيصة عن الامام الرضا (ع) أنه قال:سأل رجل ابي:هل منع الله عما امر به، وهل نهى عما أراد، وهل أعان عما لم يرد؟ فقال((أما قولك هل منع الله عما امر به فلا يجوز ذلك عليه ولو جاز ذلك لكان قد منع ابليس عن السجود لأدم، ولو منعه لعذره ولم يلعنه)).

((وأما قولك هل نهى عما اراد، فلا يجوز ذلك ولو جاز ذلك لكان حيث نهى ادم عن أكل الشجرة اراد منه أكلها، ولو اراد منه أكلها، لما نادى عليه صبيان الكتاتيب، وعصى ادم ربه فغوى، والله تعالى لا يجوز عليه إن يأمر بشي ويريد غيره)).

1- حميدة البربرية:اختلف المؤرخون في نسبها فقيل أنها أندلسية وتكنى لؤلؤة وقيل انها رومية وقيل انها من اجل بيوت العجم، وكان الامام الصادق (ع) يغدق عليها بمعروفه فقال فيها (حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، مازالت الاملاك تحرسها حتى أديت الي كرامة من الله وللحجة من بعدي...) (ابن عاشور، 2005، ص42)

2-الابواء:قرية من اعمال المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل:جبل على يمين االمصعد الى مكة من المدينة، ينظر معجم البلدان ج1/ ص.79

3-السيدة الجليلة تكتم:وقيل اسمها (نجمة)ولقبها ام البنين اشترتها السيدة حميدة ام الامام الكاظم (ع) وكانت من اشراف العجم ومن افضل النساء في عقلها ودينها واعظامها لمولاتها حميدة وهي التي زوجتها لابنها الامام الكاظم (ع) حيث انها رأت في المنام رسول الله (ص) يقول لها:يا حميدة هبي نجمة لابنك موسى فانه سيلد منها خير اهل الارض فوهبتها له فلما ولدت له الرضا سماها الطاهرة (الطبرسي، 1970،.ص314)

((وأما قولك: هل أعان عما لم يرد، فلا يجوز ذلك عليه وتعالى الله عن ان يُعين على قتل الانبياء وتكفيرهم وقتل الحسين بن علي والفضلاء من ولده، وكيف يُعين على ما لم يرد وقد اعد جهنم لمخالفيه ولعنهم على تكذيبهم لطاعته وارتكابهم لمخالفته ولو جاز ان يُعين على ما لم يرد، لكان اعان فرعون على كفره وادعاه انه رب العالمين، أفترى انه اراد من فرعون ان يدعي الربوبية، ومضى الامام يقول:يستتاب قائل هذا القول فان تاب من كذبه على الله والا ضربت عنقه)).

وروى الرواة عن الحسن بن علي بن محمد العسكري (ع) ان ابا الحسن موسى بن جعفر (ع) قال: ((ان الله خلق الخلق فعلم ما هم اليه صائرون فأمرهم ونهاهم، فما امر به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى الاخذ به وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه ولا يكونون اخذين ولا تاركين الا باذنه، وما جبر الله احداً من خلقه على معصيته بل اختبرهم بالبلوى، كما قال:ليبلوكم أيكم أحسن عملا)). (الحسني، 1977، ص328)

وهاتان قطرتان من بحرعلم الإمام الكاظم (ع) وما اتسع لها محل الشاهد ولاننا لسنا بصدد علم الامام (ع) فلوكان البحث في علمه لما استوعبته أسفار ولاريب لانه سليل أهل بيت النبوة (زقوا العلم زقا).

عبادته

نشأ الإمام موسى (ع) في بيت القداسة والتقوى، وترعرع في معهد العبادة والطاعة ورأى جميع صور التقوى ماثله في بيته فصارت من مقومات ذاته ومن عناصر شخصيته حتى أنه كان اعبد أهل زمانه وأفقههم واسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً وانه اذا وقف بين يدي الله تعالى مصلياً او مناجياً أوداعياً أرسل ما في عينيه من دموع وخفق قلبه وضطرب خوفاً من الله وقد شغل اغلب أوقاته في الصلاة فكان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يُعقب حتى تطلع الشمس ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس (المفيد، 2007، ص435)

عن الثوباني[1] قال: كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر(ع) في كل يوم سجدة بعد انقضاض الشمس الى وقت الزوال، فكان هارون ربما صعد سطحاً يُشرف منه على الحبس الذي حُبس فيه أبو الحسن(ع) فكان يرى أبا الحسن(ع) ساجداً فقال للربيع[2]: ياربيع ما ذاك الثوب الذي اراه كل يوم في ذلك الموضع ؟

قال يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب، وانما هو موسى بن جعفر(ع) له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس الى وقت الزوال. قال الربيع: فقال لي هارون: أما ان هذا من رهبان بني هاشم، قلت:فما لك قد ضيقت عليه الحبس ؟قال هيهات لابد من ذلك. (البحراني، 1993، ص243) (ابن عاشور، 2005، ص28)

جوده

كان الامام(ع) اجل أولاد الإمام الصادق (ع) قدراً، واعظمهم محلاً، وابعدهم في الناس صيتاً، ولم ير في زمانه اسخى منه ولا اكرم نفساً وكان يبلغه عن الرجل انه ينال منه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار وكان يُضرب المثل بصرر الاموال التي يتصدق بها، حتى قيل عجباً لمن جاءته صرة موسى فشكا الفقر، ومر برجل فرآه كئيباً فسأله عن السبب قال: لحقتني الديون من اجل حقل زرعته بطيخاً، وقثاءً وقرعاً فلما استوى الزرع وقرب الخير جاء الجراد فأتى عليه ولم يبق منه شيئاً فذهب الزرع وبقيت الديون فأعطاه الامام ماكان يأمله من زرعه فوفى ديونه وبقيت معه فضلة جعل الله فيها البركة كما حدث صاحب الزرع. وكان كآبائه واجداده يتفقد الفقراء ويحمل اليهم في الليل الطعام والمال وهم لايعرفونه (الطبري، 1963، ص150) (مغنية، 2002، ص488).

---

1 – الثوباني:الظاهر انه عمار بن مروان مولى بني ثوبان بن سالم الخزان الكوفي، عد من اصحاب الصادق (ع)وروى عنه وعن ابي الحسن الكاظم عليهما السلام (البحراني، 1993، ص243).

2 – الربيع بن يونس كان حاجباً للمنصور ثم صار وزيراً له بعد ابي ايوب ثم صار صاحب السجن في عهد الرشيد توفي في سنة 170هـ (ابن عاشور، 2005، ص29)

في ظل أبيه

تربى وترعرع الإمام الكاظم(ع) في حجر أبيه الإمام الصادق (ع) صاحب المدرسة الاسلامية فعندما اصبح يافعاً أخذ يحضر الدروس التي يلقيها أبيه في هذه المدرسة ويدون ما يأمره به من العلم.وكان الصادق (ع) يوجه الناس الى ولده ويرشدهم نحوه ويأمرهم بطاعته وإيكال بعض الأسئلة اليه لينشر فضله وعلمه، وعاش مع أبيه (ع)منذ ولادته عام (128) حتى عام (148) أي (20) عاماً (ابن عاشور، 2005، ص17)

ونلخص الظواهر البارزة التي عاشها الامام الكاظم (ع) في ظل ابيه (ع) كمايلي:

1- ظاهرة التمرد على السلطة الاموية والاعتقاد بأهمية الثورة والدعوة للعلويين الذين يشكلون الخط المناهض للحكم الاموي حتى اصبح شعار الدعوة الرضى من آل محمد (ص).

2-ظهرت على المسرح السياسي مقدمات نشوء الدولة العباسية وقرر العباسيون ان يكون الخليفة محمداً ذا النفس الزكية[1] لكنهم دعوا الناس الى بيعة العباسيين سراً وعين إبراهيم الإمام[2] في حينها غلامه ابا مسلم الخراساني[3] قائداً عسكرياً على خراسان واوصاه بالقتل على التهمة لخصومه الامويون (حسن، 2001، ص14-16).

3- تركزت نشاطات الامام جعفر الصادق في هذه المرحلة نحو البناء الخاص ومعالجة التحديات التي كانت تعصف بالوجود الشيعي وذلك من خلال عدة اتجاهات هي:

أ- قرر الامام الصادق (ع) لزوم الحياد وعدم المشاركة في الاوضاع السياسية وأسس جامعة اهل البيت عليهم السلام لمواجهة المد الفكري المنحرف الذي روج له الامويون وكان للإمام الكاظم (ع) دور بارز في مدرسة أبوه في هذا الظرف بالذات (ابن عاشور، 2005، ص52).

ب- تهيئة الأذهان لاستقبال قيادة وإمامة الكاظم (ع) والإيمان بإمامته فقد جاء عن المفضل بن عمر أنه قال:كنت عند أبي عبدالله (ع) فدخل أبو إبراهيم موسى وهو غلام فقال لي أبو عبدالله (ع): ((استوص به وضع امره عند من تثق به من أصحابك)) (االمفيد، 2007، ص423)

ج- مواجهة الإمام الصادق (ع) للتيار الاسماعيلي وإخباره للشيعة بان إسماعيل[44] ليس الإمام من بعده وعندما توفي إسماعيل احضر حشداً من الشيعة ليخبرهم بحقيقة موته لئلا يستغل المنحرفون موته لتمزيق الكيان الشيعي (الطبرسي، 1970، ص295)

4-عاصر الإمام الكاظم (ع) معاناة ابيه الصادق (ع) وشاهد الاستدعاءات المتكررة له من قبل المنصور حتى استشهاده(ع) بعد الوصية لابنه الكاظم (ع) وإبلاغها لخواص شيعته وربط عامة الشيعة بامامته (ابن عاشور، 2005، ص53).

---

1 - محمد ذا النفس الزكية: هو محمد بن علي بن عبدالله بن العباس نهض بالدعوة لبني هاشم وعين النقباء والدعاة واوصاهم ببث الدعوة سراً على ان تكون (للرضا من ال محمد) تسكينا للعلويين توفي سنة 125هـ -742م (حسن، 2001، ص14)

2 - إبراهيم الامام:هو إبراهيم بن محمد بن علي العباسي أوصى له أبوه من بعده بقيادة الدعوة العباسية وعصره سمي بالعصر الثاني للدعوة ويبتدى من سنة 127هـ (حسن، 2001، ص16)

3 - ابو مسلم الخراساني:اختلف المؤرخون في نسب أبي مسلم فقيل انه حراً يسمى إبراهيم بن عثمان ويكنى ابا إسحاق وانه ينتسب الى بزرجهمر وقد ولد بأصبهان ثم رحل الى الكوفة وهو في السابعة من عمره ولما اتصل بإبراهيم الإمام أمره بتغيير اسمه وقال له (لا يتم الأمر الا بذلك كما وجدته في الكتب) فسماه عبد الرحمن بن مسلم وكناه أبا مسلم وزوجه امرأة من طيء كانت تقيم مع أبيها في خراسان (حسن، 2001، ص18)

4 - اسماعيل بن جعفر الصادق:كان اكبر إخوته وكان أبوه يحبه مات في حياة ابيه بالعريض-وادي بالمدينة وحمل على رقاب الرجال الى ابوه بالمدينة حتى دفن بالبقيع (مغنية، 2002، ص73)

ومن هنا نجد ان دور الإمام الكاظم إمام هذه الإحداث هو دور التابع لإمام عصره وهو الامام الصادق (ع) يقول ويفعل ما يأمره فكان وكيلاً عن أبيه في إدارة جامعة أهل البيت التي أسسها أبوه (ع)لمواجهة التيارات المنحرفة التي روج لها الأمويون.

النص على إمامته:-

كان أبوه الصادق (ع) يخشى عليه من المنصور لذلك جعله من خمسة أوصياء في وصيته المشهورة التي بدد فيها تخطيط المنصور لاغتياله وممن روى صريح النص بالإمامة من ابي عبدالله الصادق (ع)على ابنه ابي الحسن موسى (ع) من شيوخ أصحاب أبي عبدالله وخاصته وبطانته وثقاته والفقهاء الصالحين-رضوان الله عليهم- ومنهم: روى ابن مسكان، عن سليمان بن خالد قال:دعا أبوعبدالله أبا الحسن (ع) يوماً ونحن عنده فقال لنا: ((عليكم بهذا بعدي فهو والله صاحبكم بعدي))

وروى محمد بن الوليد قال:سمعت علي بن جعفر الصادق (ع) يقول سمعتُ الامام الصادق (ع) يقول لجماعة من خاصته واصحابه: ((استوصوا بابني موسى خيراً فانه أفضل ولدي ومن أخلف من بعدي وهو القائم مقامي والحجة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي))

وروى موسى الصيقل عن المفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) فدخل أبو إبراهيم موسى (ع) وهو غلام -فقال لي أبو عبدالله: ((استوص به وضع أمره عند من تثق به من أصحابك))

وروى عبد الاعلى عن الفيض بن المختار قال:قلت لابي عبد الله (ع) خذ بيدي من النار من لنا بعدك قال:فدخل أبو ابراهيم -وهو غلام - فقال: ((هذا صاحبكم فتمسك به)) (المفيد، 2007، ص423) (الطبرسي، 1970، ص294)

الفصل الثاني

ملامح العصر العباسي في عهد أبي جعفر المنصور العباسي 148-158هـ

المنصور: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ولد سنة (101هـ)وأدرك جده، وأمه سلامة البربرية، كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزماً ورأياً وجبروتاً ، جماعاً للمال، تاركاً للهو واللعب، قتل خلقاً كثيراً حتى استقام مُلكه وكان غاية في البخل حتى لقب (أبا الدوانيق) [1 1].

في سنة (136هـ) بويع للخلافة أبو جعفر المنصور في اليوم الذي توفى فيه أخوه السفاح وكانت البيعة بعهد من السفاح (اليعقوبي، 1425,ج2، ص364) (السيوطي، 2003، ص208).

وكان المنصور السبب الاول لسم الإمام الصادق (ص) واستشهاده وينقل لنا التاريخ عنه انه مشهور بالخيانة واللؤم وعدم الوفاء حتى عُد ابرز مظاهر شخصيته الغدر والفتك بأقرب المقربين اليه وقد بنى الاسطوانات الدائرية على أهل البيت وشيعتهم وهم أحياء فعرف بحقده لهم (الفراتي، 2004، ص241)

كان موقف الامام الكاظم (ع) من جميع الإحداث التي جرت في عهد أبيه كموقف إمام زمانه وأبيه الصادق (ع) حيث كان يتبع رأيهُ وأمره وبعد استشهاد الصادق (ع) سنة (148هـ) تولى الإمامة وكان عمره الشريف انذاك (20) سنة فتسلم زمام الأمور الدينية (العلمية والسياسة والتربوية) بعد استشهاد أبيه (ع)وعاصر (10) سنوات من حكومة المنصور ومن ثم المهدي والهادي واخيراً الرشيد واسُتشهد الإمام الكاظم (ع) في عهده سنة (183هـ) (ابن عاشور، 2005، ص52).

- ابرز الإحداث التي عاصرها الامام (ع) في عهد المنصور:-

1- شددت السلطة المراقبة على الشيعة بعد استشهاد الإمام الصادق (ع) وعم الارتباك أوساطهم وشحنت الاجواء بالحذر والتحسب وكثرة انتشار الجواسيس (الحسني، 1977، ص333).

1 -لُقب المنصور بالدوانيقي او ابا الدوانيق لمحاسبة العمال والصناع على الدوانيق والحبات.

2-ظهور الكثير من الفرق والتيارات المنحرفة مما جعل الادعياء وهواة الرذيلة والذين زاد نشاطهم وشاع صيتهم وتعددت فرقهم في هذه المدة يطرحون أنفسهم قادة للأمة في الفكر والفقه والحديث بتشجيع من المنصور ومن تلك الفرق القدرية، والزيدية، والمعتزلة، والخوارج.

3- ومن سياسية العباسيون عامة والمنصور خاصة هي سياسة اتخاذ (وعاظ السلاطين) بعد ان غُيب الامام الكاظم (ع)عن المسرح السياسي والفكري وهي سياسية بديل يرعاه الخليفة ويدعمه بما اوتي من قوة ليغطي له الفراغ من جانب وتؤيد له سياسته للعباد من جانب أخر ليوحي للأمة بأنه مع الخط الاسلامي السائرعلى نهج النبوة (ابن عاشور، 2005، ص65-70).

4- انتشرت في هذه المدة عقائد خاطئة واتجاهات منحرفة من الالحاد والزندقة ذات أصحاب تدافع عنها ولم تكن وليد هذا الظرف بالذات وإنما نشطت في هذا الجو حيث كان بعض الخلفاء يتبنى بعضاً منها ويسمح لانتشار البعض الأخر، ومن تلك العقائد خاطئة:-

أ-الغلاة:وهم يعتقدون بإلهية جعفر بن محمد الصادق (ع) والهية آبائه وهولاء قد تبرأ منهم الصادق ولعنهم لعناً مشدداً وأستمروا الى عهد الكاظم (ع) وشجعت السلطات من جانب والصقت التهم بهم من جانب آخر بهدف التشويه لحقيقة الشيعة كما استخدموا هذه التهمة فيما بعد ذريعة لتسوغ لهم اضطهاد الشيعة تحت هذا الاسم فأطلقوا على الشيعة اسم الزنادقة ويحق للدولة ان تطاردهم.

ب- المرجئة:ويقول أصحاب هذا الاعتقاد بتأخير وإرجاء صاحب المعصية الكبيرة الى يوم القيامة فلا يحكمون عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة او من أهل النار والايمان هو الإيمان القلبي لا السلوك الخارجي لان الله ينظر الى القلب لا الى الممارسات الخارجية فالزنا تصرف خارجي ليس له علاقة بالإيمان.

ج-الجبرية:-والتي نشأت في زمن معاوية واستفاد منها العباسيون ويقولون بأنا لسنا مخيرين في أفعالنا فاذا شاء الله صلينا وإذا شاء نعمل المنكرات (حسن، 2001، ص102)

5- ومن المشاكل التي واجهت الإمام الكاظم (ع) فرقة الإسماعيلية التي نشأة في حياة أبيه ومن ثم امتدت الى زمنه وقالت هذه الفرقة بإمامة إسماعيل (1) بن جعفر الصادق (ع) وليس موسى الكاظم (ع) وهم ثلاث فرق:الأولى قالت:ان الصادق مات قبل ولده إسماعيل. والثانية قالت:ان إسماعيل مات قبل ابيه الصادق ولكنه قبل موته نص على ولده محمد بن إسماعيل. والثالثة قالت: ان إسماعيل مات قبل ابوه الصادق ولكن الذي نص على إمامة ولده محمد هو جده الصادق لا أبوه إسماعيل (الطبرسي، 1970، ص295) (مغنية، 2002، ص73).

6- وكذلك واجه الإمام الكاظم (ع) في مطلع تسلمه لمسؤولية الإمامة هي التشكيك في مسألة القيادة فانها لم تكن بعد الصادق (ع) بسبب ما ادعاه (عبدالله الافطح) (2) ان الإمامة له بعد ابيه الصادق (ع) لأنه الأكبر وكان متهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد مما أضاف معاناة أخرى للإمام الكاظم (ع) (الزين، د.ت، ص62)

7- ومما امتاز به عصر المنصور كان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بإحكام النجوم.

8-وأول من استعمل مواليه على الإعمال وقدمهم على العرب وكثر بعد ذلك حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها.

9- وهو أول من أوقع الفرقة والفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبل ذلك شيئاً واحداً.

---

1 - أسماعيل بن جعفر الصادق:كان اكبر إخوته وكان أبوه يحبه مات في حياة ابيه بالعريض-وادي بالمدينة وحمل على رقاب الرجال الى ابوه بالمدينة حتى دفن بالبقيع.

2 - عبدالله الافطح: اخو الإمام الكاظم (ع) الأكبر بعد إسماعيل، لقب بالافطح لانه أفطح الرأس أي ذو رأس عريض وقال أصحاب هذه الفرقة ان الإمامة لم تنتقل الى إسماعيل بن الإمام الصادق (ع) ولا الى ولده موسى الكاظم (ع)بل الى ولده الأكبر عبدالله الافطح وهم من الفرق البائدة ولا يوجد منهم احد (مغنية، 2002، ص74).

10- كثرت الثورات ومنها ثورة الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وآذى المنصور خلقا كثيراً من العلماء ممن خرج معهما أو امر بالخروج معهما قتلاً وضرباً ومنهم ابو حنيفة، وعبد الحميد بن جعفر، ومالك بن أنس.

11- كثرة القتل وسفك الدماء ومن ذلك ماحصل مع الجيوش الخراسانية عندما خرجت مع الأمير استاذسيس عن طاعة المنصور فكانت بين جيشه وبينهم وقعة مشهورة قتل فيها سبعون الف وانهزم استاذسيس واسر وضربت أعناق الأسرى وكان عددهم أربعة عشر الف (السيوطي، 2003، ص310)

12-اظهار العداوة لذرية الرسول (ص) وقتلهم ومنهم عبدالله والحسن وإبراهيم وعلي أولاد الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) وغيرهم حتى بلغ من قتل تسعة عشر رجلاً كما ورد في مقاتل الطالبيين (الاصفهاني، 2004، ص166-340).

13- ظهور حركة الراوندية (1) وهي حركة دعا اليها اهل فارس بقيادة الابلق فتكلم هذا بالغلو يقولون بتناسخ الأرواح ولم يرى المنصور بد من محاربتهم لانه لم يكن يستطيع ان يوافقهم على قولهم لخروجهم على الدين والدولة ولان ذلك من شأنه ان يثير العرب عامة (الطبري، ج009، د.ت، ص505) (حسن، 2001، ص88)

دور الامام الكاظم (ع) في عهد أبي جعفر المنصور العباسي

واجه الامام الكاظم (ع) كل هذه الإحداث من انقسامات وحركات وفرق وبُدع وتضيق ومراقبة وخليفة جائر استهان بدم العلويين بعد قتل الصادق (ع) واكبر دليل حديث الخزانة التي ورثها لولده المهدي وكانت مليئة برؤوس ذرية الرسول (ص) فكان الواجب الشرعي يحتم على الإمام بوصفه حجة الله على الناس إن يبرز فضائله ومؤهلاته وقدراته العلمية لكي تتوجه اليه الناس دون اؤلئك المُضلين ولكن من جهة أخرى لم يكن الوضع السياسي يسمح للإمام ان يقوم بذلك لان العباسيين كانوا من اكبر المجرمين في حق أهل البيت وطاردوا شيعتهم ومحبيهم في كل مكان وقتلوهم بمختلف الوسائل وأبشع الصور فكان اغلبهم أن لم يكن كلهم بما فيهم الإمام الكاظم (ع) يعملون بالتقية لان المدة التي عاشها الإمام تمثل منعطفاً صعباً وخطيراً في مسيرة الإسلام وكانت تلك المدة قاسية جداً اذ حكمها مجموعة طواغيت بكل معنى الكلمة لكن الامام (ع) أمام كل هذا لم يقف مكتوف الأيدي للحفاظ على الدين والمسلمين بل كان له نشاط في المجالات الفكرية والعلمية والسياسية والتربوية 0

نشاط الامام الكاظم (ع) في عهد المنصور في المجال:-

اولاً: الفكري والعلمي:-

فعلى صعيد المجال الفكري والعلمي قام الإمام (ع) بما يلي:

1- واصل عليه السلام القاء الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها الإمام الصادق فعمل الامام على احتواء هذه المدرسة الفذة واحتواء رجالها المخلصين وكان يأمرهم بتدوين العلم وبثه في الناس لان العلم هو الأداة الوحيدة لمحاربة الفكر المضاد والدخيل وسياسة التجهيل التي شنها بنو العباس ومحاولتهم الخلط بين ما هو أصيل ودخيل بهدف تضليل الأمة.

2- تصحيح المسار العقائدي في الإسلام فكان (ع) يناظر الملحدين والمنحرفين كالمجسمة الذي يعتقدون ان الله جسم وبقية الفرق المنحرفة التي تبناها علماء السوء ووعاظ السلاطين (الفراتي، 2004، ص227)

---

1 --الراوندية: وزعيمهم الأبلق وهم قوم من خراسان يقولون بتناسخ الأرواح ويزعمون ان روح ادم في عثمان بن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو ابو جعفر المنصور وان الهيثم بن معاوية هو جبريل، ولما ظهروا جاءوا الى قصر المنصور فقالوا:هذا قصر ربنا فأقبلوا يقولون أنت أنت (يعنون أنت الله) فخرج اليهم بنفسه وقاتلهم فأقبلوا يقولون أنت أنت (الطبري، ج009، د.ت، ص505) (حسن، 2001، ص88)

3- الوقوف أمام العناصر الفاسدة التي تصدت للمرجعية العلمية والدينية بدعم من الخليفة لتضفي الشرعية على أفعاله وأقواله حيث عرى الإمام (ع) تلك المرجعيات في عدة مناسبات من خلال الإجابة على أسئلة السائل.

فعن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن موسى (ع): بم أوحد الله ؟ فقال (ع) ((يا يونس لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر)) وقال في موضع أخر ((مالكم والقياس؟إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس) (ابن عاشور، 2005، ص84)

4- أخذ الإمام (ع) يُرشد ويُعرف الناس على مواقع الخطأ والصواب والانحراف بشكل تفصيلي في ادعاء من ادعى المرجعية دونه (ع).

ومن ذلك ماحصل بين الإمام (ع) وبين الحسن بن علي وهو شخصية مرموقة عند الملوك، زاهداً في الدنيا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا تاخذه في الله لومة لائم، فاجتمع بالإمام فقال (ع) له: (يا أبا علي، ما أحب الي ما أنت عليه وأسرني به، إلا أنه ليست لك معرفة فاطلب المعرفة) قال:وما المعرفة؟ فقال له (ع):تفقه واطلب الحديث. فذهب الرجل وكتب الحديث عن فقهاء أهل المدينة وعرضه على الإمام فلم يرضه (ع) وأرشده الى أهل البيت وأخذ الإحكام منهم، والاعتراف لهم بالإمامة فانصاع الرجل لذلك واهتدى (المفيد، 2007، ص429).

5-قام الإمام بإبراز القدرات الغيبية التي وهبها الله تعالى اليه والتي تميزه كإمام مفترض الطاعة من الله تعالى عن غيره من الأدعياء وزعماء الفرق والطوائف الضالة في زمانه في محاولة لإزالة الحيرة الفكرية التي سادت بين الناس في هذه المدة. ومن ذلك ما قاله إسحاق بن عمار قال:سمعت العبد الصالح ينعى الى رجل من شيعته نفسه، فقلت في نفسي:وانه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته ! فالتفت الي شبه المغضب فقال: ((يا إسحاق قد كان رشيد الهجري[1] يعلم علم المنايا والبلايا والإمام أولى بعلم ذلك، يا إسحاق اصنع ما أنت صانع فان عمرك قد فنى وقد بقي منه دون سنتين))...فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس الا يسيرا حتى مات (ابن عاشور، 2005، ص76).

ثانياً: الاخلاقي والتربوي:-

لقد اصاب القيم الاسلامية جمود واهتزاز بفعل سياسة الخلفاء الفاسدين وتعرضت الأمة الى هبوط معنوي وتميع مشهود وهنا تتطلب من الإمام إن يحد من هذا الانهيار الأخلاقي فعلى هذا الصعيد قام الإمام (ع) بما يلي:

1- كان الإمام موسى الكاظم (ع) يتفقد فقراء المدينة فيحمل اليهم الطعام في الليل وهم لايعلمون من أين وكان يصل بالمئة دينار الى ثلاثمئة دينار وكانت صرار موسى مثلاً (الطبري، 1963نص150)

وهذا الامر ذكره الكثير من المؤرخين ونستنتج من هذا انه كان للإمام غايتان هما:

الأولى: إن الإمام أراد من هذا تشجيع إفراد المجتمع المسلم على التكافل لكي لايبقى في المجتمع فقير ومحتاج

الثانية: هي ان تكون الصدقة في السر لكي لايشعر المحتاج بالذل والخجل حيث إن الإمام طول حياته لم يخبر أحداً عن صدقاته الليلة ولكن أدرك الناس انه هو من كان يتصدق لانقطاعها بعد حبسه

2- التقرب الى الناس ومجالستهم بكل طوائفهم ودياناتهم اغنياء وفقراء وهو الإمام المفترض الطاعة وحجة الله على خلقه والتعامل معهم سواءٌ بسواء

ومن ذلك ماروي عنه (ع) انه مر برجل من أهل السواد دميم المنظر فسلم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً ثم عرض عليه القيام بحاجته ان عرضت له فقيل له:يا ابن رسول الله أتنزل الى هذا ثم تسأله عن حوائجه وهو اليك أحوج فقال (ع) ((عبد من عبيد الله واخ في كتاب الله وجار في بلاد الله يجمعنا وإياه خير الآباء ادم وأفضل الأديان الإسلام)) (الراشدي، 2004، ص82)

---

1 -رشيد الهجري:نسبة الى هجر مدينة هي قاعدة البحرين أي دار الخلافة ومقام السلطنة احد اصحاب الأمام علي (ع) وكان يسميه رشيد البلايا كان قد القى (ع) عليه علم البلايا والمنايا (الحائري، 2005، ص89)

ونستنتج من هذه الحادثة أمرين هما:

الأول: أراد الإمام إن يرجع بالمجتمع الإسلامي الى عهد الرسول (ص) وانه لا فرق بين عبد وسيد أو ابيض واسود أو عربي ولا أعجمي الا في التقوى

الثاني: ان حكم الناس لا يتطلب قصوراً وعروشاً وإنما معرفة أحوال الناس وقضاء حوائجهم من خلال التعامل معهم والعيش في بيئتهم

3- ومن أهم الأمور التي كان الإمام يعنى بها هي الإرشاد والتوجيه لكل الناس ليربي في أنفسهم الأخلاق التي أرادها الله من عباده على لسان نبيه (ص) (افضلكم ايماناً احسنكم اخلاقاً) ومن ذلك حادثة بشر الحافي [1]:

وذكر في سبب توبته ان الامام (ع) حين اجتاز على باب داره ببغداد سمع الملاهي واصوات الغناء والقصب تعلو من داره وخرجت منه جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الطريق فالتفت الامام اليها قائلاً (ياجارية صاحب هذا الدارحر ام عبد؟ فأجابت (حر) فقال (ع): (صدقت لو كان عبداً لخاف من مولاه) فوصل الخبر الى بشر فخرج مسرعاً حتى لحق الامام وتاب على يديه واعتذر منه وبكى واخذ في تهذيب نفسه ففاق أهل عصره في الورع والزهد (الراشدي، 2004، ص291).

ونستنتج من هذه الحادثة عدة أمور منها:-

أ- مدى التفسخ الاخلاقي الذي كان عليه المجتمع والدليل ان صوت الغناء والالات كان يسمعه من يمر بباب بشر الحافي

ب- مدى تأثير كلمات الامام وهي بضع كلمات ومدى تأثير شخصيته فهو لم يحاضر ولم يخطب بل اكتفى بقول ((صدقت لو كان عبداً لخاف من مولاه))

ج- مدى التأثير النفسي للامام بحيث ان بشراً عندما جاءته الجارية بالخبر وسألها عن اوصاف من قال لها ذلك لم يتمالك نفسه ففزع حافياً مهرولاً خلف الامام حتى التقى به وحوله من بشر الخمار الى بشر الحافي لانه لحق الأمام (ع) حافياً وأصبح بعد ذلك من العباد

4- واجه الإمام (ع)من أراد الانتقاص منه أو سبه بأسلوب أخلاقي يتناسب مع أهداف الرسالة ليذكر الأمة بأخلاقية جده الرسول (ص) وقوله ((انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق))

ومن ذلك ماروي عن الحسن بن محمد ان رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن (ع) فكان يسبه اذا راه وشتم علياً (ع) فقال له بعض حاشيته دعنا نقتله فنهاهم عن ذلك وزجرهم اشد الزجر.وسأل عن العمري في احد الايام فقيل له:انه يزرع بناحية من نواحي المدينة فذهب اليه الامام (ع) ودخل الى مزرعته بحماره فصاح العمري لا تطأ زرعنا فانتهى اليه الامام وجلس عنده وقال له: كم غرمت في زرعك هذا قال: مائة دينار، فقال له كم ترجو ان تصيب منه قال:أنا لا نعلم الغيب، فقال له الامام:انا قلت لك كم ترجو ان يجيئك منه قال:أرجو ان يجيئني مائتا دينار فأعطاه ثلثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله فقام العمري وقبل رأس الإمام وانصرف فذهب الإمام الى المسجد فوجد العمري جالساً فلما نظر الى الامام قال:الله أعلم حيث يجعل رسالته، وجعل يدعو للإمام كلما دخل وخرج وقال الإمام لحاشيته الذين ارادوا قتل العمري((أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت ان أصلح أمره بهذا المقدار))

(الطبري، 1963، ص150) (البحراني، 1993، ص289) (الحسني، 1977، ص321).

نستنتج من هذه الحادثة ان الإمام أعطى من خلالها الكثير من الدروس الأخلاقية والتربوية لأصحابه وللمجتمع ومن تلك الدروس:-

الأول: ان من أخلاق المؤمن يجب ان لا يكون متسرعاً ويقوده غضبه لان وكما قال الامام علي (ع): (لاتغضبوا ولا تغضبوا افشوا السلام واطيبوا الكلام) (الحراني، 2008، ص143)

---

1 - بشر الحافي: ابو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي الاصل البغدادي المسكن احد العرفاء الزهاد وعد من اصحاب الأمام الكاظم (ع)

الثاني: ان لا يجابه الإساءة بالإساءة بل المؤمن له في الرسول والأئمة (ع) أسوة حسنة في مجابهة الإساءة بالإحسان

الثالث: برهن الامام (ع) للعمري بالدليل العقلي بأنه إمام مفترض الطاعة وحجة الله على خلقه والامتداد الطبيعي للرسول وولده وتجسيداً لأخلاقه وقد أذعن العمري لذلك بقوله:الله أعلم حيث يجعل رسالته.

5- تصدى لإمام (ع) للانهيار الأخلاقي الذي تفشى في العصر العباسي عامة وفي عهد المنصور خاصة من خلال سياسة لا توجه الانظار اليه ولاسيما انه كان مراقباً من لدن السلطات فكان تصديه من خلال الكلمة القصيرة ذات المعنى الكبير فكانت كالمصل يحقن به جسد المجتمع الاسلامي الذي اصابته غيبوبة وسلم للفساد والميوعة ليرجع به الى الحياة ذات القيم والأخلاق الإسلامية ومن تلك الكلمات:

- قال (ع) لبعض شيعته: ((أي فلان، اتق الله وقل الحق وان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك، أي فلان، اتق الله ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فان فيه هلاكك)).
- قال (ع): ((كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون)).
- قال (ع): ((اذا كان الجور اغلب من الحق لم يحل لأحد ان يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه)).
- وقال (ع): ((ينادي منادي يوم القيامة:الا من كان له على الله اجر فليقم، فلا يقوم ألا من عفا وأصلح فأجره على الله))
- قال (ع): ((من تكلم في الله هلك، ومن طلب الرئاسة هلك، ومن دخله العجب هلك)).
- قال (ع): ((عونك للضعيف من أفضل الصدقة)) (الحراني، 2008، ص300) (العاملي، 1978، ص142).

وغيرها مئات من الدرر والحكم التي لا تصدر الا من معلم وتربوي فتح الله تعالى له خزائن علمه لانه وليه وحجته على خلقه وكل كلمة هي درس اخلاقي وتربوي وقد حقق الامام من خلالها عدة غايات وهي:

أ- تصحيح أفكار الناس والرجوع بهم الى روح الدين الاسلامي بعد ما قام الخلفاء العباسيون بتشويه صورة الدين لأنهم قتلوا وجاروا ونهبوا باسم الدين.

ب- زرع الاخلاق الفاضلة في المجتمع الاسلامي.

ج- وسيلة للتربية لا تتطلب منبراً وخطبة استطاع الإمام من خلالها كسرقيود الرقابة المشددة.

الفصل الثالث

ملامح العصر العباسي في عهد المهدي والهادي (158هـ-170هـ)

عهد محمد المهدي العباسي:

هو أبو عبدالله محمد بن المنصور ولد ببايذج سنة (127هـ)وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية وقيل مات مسموماً عهد اليه أبوه المنصور فلما مات بويع بالخلافة سنة (158هـ)وكانت خلافته عشرسنين واشهراً واثنين وعشرين يوماً وتوفي سنة (169هـ) (اليعقوبي، 1425، ج2، ص392) (السيوطي، 2003، ص322).

امتاز بميوله نحو اللهو والخلاعة والمجون والنساء فانتشر على ذلك الفساد والمجون في البلاد والتحلل الخلقي بين الناس وهو الذي قرب المغنين وجعل لهم اياماً خاصة حتى صار ابنه (إبراهيم) شيخ المغنين وبنته (عليه)في طليعة المغنيات والراقصات في بغداد وقد قضى في الخلافة زهاء عشر سنوات التزم المهدي سياسية أبيه في جميع النواحي فلم تتغير الاوضاع بل زادت سوءاً حيث سار على ما سارعليه الخلفاء العباسيون من تضييق وظلم وسفك دماء.

- أبرز الأحداث التي جرت في عهد المهدي:

1- شجع المهدي الوضاعين للاحاديث في زمنه فقام هولاء بدور إعلامي تضليلي فأحاطوا السلاطين بهالة من التقديس وأبرزوهم في المجتمع على أنهم يمثلون إرادة الله في الأرض وان الخطأ لا يمسهم فمثل غياث بن إبراهيم الذي عرف هوى المهدي في الحَمام وعشقه لها فحدثه عن ابي هريرة انه قال:لأسبق إلا حافر أو نصل – وزاد فيه – او جناح.

فأمر له المهدي عوض افتعاله للحديث بعشرة الاف درهم ولما ولى عنه قال لجلسائه:أشهد انه كذب على رسول الله (ص) ما قال رسول الله (ص) ذلك ولكنه أراد أن يتقرب الي.

2- شاع اللهو وانتشر المجون وسادت الميوعة والتحلل في حكم المهدي وقرب المغنين والعازفين وظن الناس بالمهدي الظنون واتهموه بشتى التهم والى ذلك أشار بشار بن برد في هجاه إياه:

خليفة يزني بعمـاته يلعـب بالدف والصولجـان

أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الخيزران

3- اتخذ المهدي سياسة الانتقاص من العلويين والحط من شانهم وصرف الاموال الضخمة من اجل ذلك فتحرك الشعراء والمنتفعون واخذوا يلفقون الأكاذيب في هجاء العلويين

4- البذخ والاسراف في اموال المسلمين حيث قام المهدي ببذل كل ماخلفه المنصورفي خزائنه نتيجة البخل والتعدي على حقوق المسلمين ومن ذلك ما بذله في زواج ولده هارون من زبيدة حتى قال المعتز:ان هذا شيء لم يسبقه اليه أكاسرة الفرس ولا قياصرة الروم.

5-عندما استولى المهدي على زمام الحكم بدأ سلطان المرأة ينفذ الى البلاط فسمح لزوجه الخيزران ان تتدخل في إدارة الحاكم فأصبحت ذات نفوذ قوي على القصر تقرب من تشاء وتبعد من تشاء ومن هنا اخذ نفوذ المرأة يزداد ويقوى في بلاط الحكام العباسيين حتى بلغ نهايته في أواسط العهد العباسي واستمر حتى نهاية حكمهم.

6- أن انشغال المهدي باللهو من جانب وحاجته الى الأموال من جانب اخر شجع عماله على نهب الاموال وسلب ثروات الامة حتى انتشرت الرشوة عند الموظفين وتشدد ولاته في اخذ الخراج بل عمد المهدي نفسه الى الإجحاف بالناس فأمر بجباية أسواق بغداد وجعل الاجرة عليها (ابن عاشور، 2005، ص92-94).

7- كثرت الثورات ومنها ثورة عبدالله بن محمد بن مروان سنة161هـ وفي السنة التالية خرج عبد السلام ابن هشام اليشكري في الجزيرة كما خرج بالموصل رجل من بني تميم يدعى ياسين وثار أهل الحوف في مصر سنة 158هـ وقتلوا عامل المهدي وكانت اشد الثورات بأساً وأكثرها خطراً وكل هذه الثورات اشعل نيرانها الزنادقة الذين تبعد تعاليمهم عن الاسلام وعقائده حيث تبيح المحرمات وتعبث بالاداب الاجتماعية والزوجية وتعرض الحية السياسية والدينية للخطر.

8-انتشرت في هذه المدة عقائد خاطئة واتجاهات منحرفة من الالحاد والزندقة ولم تكن وليدة خلافة المهدي بل كان لها جذور منذ خلافة المنصور ونشطت في عهده وقد حاربهم المهدي كما يقول المؤرخون (حسن، 2001، ص42).

9- بعد ان استتب حكمه اتبع سياسة أبيه في قتل ذرية الرسول (ص) ومن العلويين الذين قتلهم علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، وعيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (الاصفهاني، 2006، ص342).

10- قام المهدي بسجن الامام موسى الكاظم (ع) حيث استدعاه الى بغداد وحبسه فيها ثم رده الى المدينة حيث ذاع صيت الإمام (ع) في الأمصار بعد إن فتح له القليل من المجال للاتصال بالقواعد الشعبية.

دور الإمام الكاظم (ع) في عهد المهدي

عند تسلم المهدي العباسي زمام الحكم من أبيه المنصور وبقي الامام (ع)طول مدة حكمه وهي (11)سنة تحت المراقبة الشديدة وقد استدعاه المهدي الى بغداد اكثر من مرة وهو حاقد عليه وقد حبسه وأطلقه من سجنه لرؤيا رأى فيها الإمام علي (ع) فقال له:يامحمد (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) فاستدعى الامام الكاظم (ع) فلما جاء اليه قام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه وقال:يا أبا الحسن رأيت الساعة أمير المؤمنين وهو يقرأ علي هذه الاية أفتؤمنني ان لا تخرج علي ولا على احد من ولدي فقال له الأمام:والله ما فعلت ذلك ابداً ولا هو من شيمتي. فقال:صدقت وأكرمه ورده الى أهله (الحسني، 1977، ص339)

وعلى اساس هذه الرؤيا أبدى سياسة مرنة مع العلويين أراد بها كسبهم وحاول ان ينسب مظلمتهم الى عهد أبيه وجده وقد أعلن إعادة حقوق العلويين لهم واصدرعفواً عاماً للمسجونين وارجع أموال الإمام الصادق (ع) الى الإمام الكاظم (ع) ومن هنا استغل الامام الكاظم (ع) هذه الفرصة المحدودة ليوسع نشاطه وقد توزع في جانبين هما:

1- الانفتاح على الأمة بهدف إصلاحها ضمن أساليب تربوية من شانها ان تعيد الامة الى جادة الأخلاق والقيم الرسالية.

2- كرس الامام جهده لإكمال بناء الجماعة الصالحة التي يهدف من خلالها الى الحفاظ على الشريعة من الضياع ويطرح الأنموذج الصالح الذي يتولى عملية التغير والبناء في الامة والذي صنعته مدرسة اهل البيت.

- عهد موسى الهادي العباسي

هو أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور ولد بالري سنة 147هـ ووامه ام ولد بربرية اسمهان الخيزران ولم يلي الخلافة قبله احد في سنه مات سنة 170هـ (السيوطي، 2003، ص331).

بويع لموسى الهادي بن محمد المهدي بالخلافة بعد ابيه بعهد منه سنة (169هـ) ولم يدم بالخلافة الا اربعة عشر شهراً وكان عمره (26) سنة (اليعقوبي، 1425، ج2، ص405)

وقد وصف المسعودي الهادي فقال انه قاسي القلب شرس الأخلاق صعب المرام ومما يؤخذ عليه تتكيله بالعلويين وتمثيله بالامويين والخوارج والزنادقة وأخذه أكثرهم على الظنة والريبة وإسرافه في العطاء (المسعودي، 1384، ج2، ص255).

كان شاباً يافعاً وكان جباراً ذا نزعات شريرة تظهر على سلوكه واعماله الفاسدة وتميز بغروره وطيشه وهو اول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة والقسي الموترة فاتبعه عماله في ذلك وكثر السلاح في عصره وكان يتناول المسكر ويلعب ويركب حماراً فارهاً ولايقيم أبهة للخلافة ودامت خلافته سنة وبضعة شهور (السيوطي، 2003، ص331).

لقد كانت مدة حكمه من المراحل القاسية والرهيبة في تاريخ اهل البيت وشيعتهم فقد استمر في سياسة ابائه المجرمين المتميزة باضطهاد الائمة وشيعتهم، واهتم الهادي في الغناء والطرب والاعتناء بالسهرات الماجنة والإغداق على أهل الطرب واللهو مما أدى الى اندلاع اكبر ثورة قادها العلويون وشيعتهم ضده وهي واقعة فخ التي قادها الحسين بن علي بن الحسن (ع) (الفراتي، 2004، ص243).

- ابرز الاحداث التي جرت في عهد الهادي:

1- من سمات عصره البارزة هي انتشار الغناء والاعتناء بالسهرات الماجنة واغداقه على أهل الطرب واللهو من اموال المسلمين مما ادى الى قيام الثورات (الفراتي، 2004، ص243).

- من ابرز الاحداث التي جرت في عهد موسى الهادي وعلى الرغم من قصر المدة التي حكم فيها هي (واقعة فخ) التي قتل فيها الحسين بن علي [1] (ابن الجوزي، د.ت، ج7، ص320)

وقدقال عنها الجواد (ع) (لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ)

3- اتبع الهادي سياسة امتازت بنزعات شريرة ظهرت في سلوكه حتى نقم عليه القريب والبعيد وابغضه الناس جميعاً (ابن عاشور، 2005، ص112).

4- الاسراف والبذخ في اموال المسلمين ومن ذلك ما ذكره المؤرخون في ان شاعر وصف له سيف عمرو بن معد يكرب فاعطاه السيف ومكتل يحوي ذهباً ثم اشترى السيف من الشاعر بخمسين الفاً (حسن، 2001، ص45)

1 - الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب قتل في واقعة فخ التي دارت بين الحسين وبين محمد بن سليمان قائد جيش الهادي سنة 169هـ

5- على الرغم من قصر مدة حكمه الا انه مارس الاذلال والاضطهاد ضد العلويين وعين ولاة ومنهم اسحاق بن عيسى بن علي على المدينة وقد بالغ هذا الاثيم في اضطهاد العلويين فألزمهم بالمثول عنده كل يوم وفرض عليهم الرقابة وقتل منهم أربعة من ولد الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (الاصفهاني، 2004، ص365)

- دور الامام الكاظم (ع) في عهد الهادي

ان لقصر مدة حكم الهادي وهي سنة وبضعة شهور لم تسمح له بممارسة سياسة جده وابيه مع الامام من مراقبة وتضيق فكانت خطوات الامام (ع) فيها قريبة من خطواته في زمن المهدي إلا ان (واقعة فخ) غيرت من تعامل الهادي مع الامام وعزم على قتله بعدها إلا أن تدخل أبو يوسف القاضي حال دون ذلك فقد اقنع الهادي بأن يعدل عن رأيه عندما قال له بان الإمام موسى الكاظم (ع) لم يكن مذهبه الخروج ولا مذهب احد من ولده (ابن عاشور، 2005، ص112).

أما موقف الامام الكاظم (ع) من هذه الثورة التي قام بها الحسين بن علي بن الحسن (ع) هو:

1-لم تكن فكرة الثورة آنذاك في ذهن الامام ولم يضعها في حساباته الا انه صدرت عنه مساندة صريحة وتأييد لثورة الحسين بن علي بن الحسن (ع) عندما عزم عليها في قوله (ع) (انك مقتول فأحد الضراب فان القوم فساق يظهرون إيمانا ويضمرون نفقاً وشركاً وانا لله وانا اليه راجعون وعند الله احتسبكم من عصبة)

2-ولما سمع الامام موسى الكاظم (ع)بمقتل الحسين صاحب فخ (ع)بكاه وابنه بهذه الكلمات ((انا لله وانا اليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قواماً امراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله)) (المجلسي، 1983، ج48، ص165)

ويرى الباحث ومن خلال كلام الامام (ع) ونصحه للحسين بن علي قبل خروجه ومدحه بعد استشهاده وعلى الرغم من اتحاذ الامام الكاظم (ع) موقف التقية نجده كان يشجع على أية خطوة في سبيل تغيير الحكم والثورة على سياسة حاكم الذي ابتعد عن تعاليم الدين الإسلامي وروحه وأخلاقه.

نشاط الامام الكاظم (ع) في عهدي المهدي والهادي في المجال:-

أولاً:- الفكري والعلمي:-

على صعيد المجال الفكري والعلمي قام الإمام (ع) بما يلي:

1- ركز الامام الكاظم (ع) في تربيته للجماعة الصالحة على ضرورة الانتماء الفكري والمعرفي لمدرسة أهل البيت (ع) وتحرك الأمام بهذا الاتجاه مستغلا النهضة العلمية والفكرية التي حققها الامام الصادق (ع) من قبل فقام بإكمال عمل أبيه في بناء الكادر المتخصص فامتدت قواعده من هذا النوع حتى ذكر له (319)صحابياً كل منهم تلقى العلم والمعرفة من الامام الكاظم (ع) (القرشي، ج2، ص223)

2- قام الامام موسى الكاظم (ع) بإعداد نخبة من الفقهاء ورواة الحديث على انه اشتهر بين المحدثين (18) فقهياً محدثاً من أصحاب الأئمة الثلاثة (الباقر والصادق والكاظم) وهم المعروفون بأصحاب الإجماع ستة أصحاب لكل إمام.

3-الإجابة على أسئلة فقهاء وقضاة الخليفة والمتبعين لسياسته تملقاً وتزلفاً لكي يكشف للعامة وحاشية الخليفة انه أحق بالاتباع لأنه الامام المفترض الطاعة من لدن الله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك ما دار بينه (ع) وبين أبي يوسف في مجلس المهدي، حيث قال أبو يوسف للمهدي- وعنده موسى بن جعفر (ع) (تأذن لي أن أساله عن مسائل ليس عنده فيها شيء؟ فقال له نعم.فقال للامام موسى بن جعفر (ع) أسالك؟ قال: نعم. قال:ما تقول في التظليل للمحرم؟قال:لايصلح. قال:فيضرب الخباء في الارض ويدخل البيت؟قال:نعم. قال:فما الفرق بين هذين؟ قال أبوالحسن (ع): ماتقول في الطامث أتقضي الصلاة؟ قال: لا قال: فتقضي الصوم؟ قال: نعم، قال: ولم. قال: هكذا جاء. قال ابو الحسن (ع) وهكذا جاء هذا. فقال المهدي لأبي يوسف ما أراك صنعت شيئاً؟ قال: رماني بحجر دامغ) (الصدوق، 2008، ص101)

4-المناظرات والاحتجاجات مع المسلمين لإثبات الحق ومع النصارى واليهود ليؤمنوا بالاسلام على أساس (ان الدين عند الله الإسلام) وهذا ما أراد الامام تحقيقه من مناظراته واحتجاجا ته معهم.

ومن ذلك ما جرى مع الراهب الذي جاءه الى المدينة وقد قطع المسافات البعيدة لكي يراه وقد سأل الامام (ع) عدة اسئلة ومنها قال الراهب: أخبرني عن ثمانية أحرف نزلت فتبين في الارض منها اربعة وبقي في الهواء منها اربعة على من نزلت تلك الاربعة التي في الهواء ومن يفسرها؟

قال الأمام (ع):ذاك قائمنا ينزله الله عليه فيفسره، وينزل عليه ما لم ينزل على الصديقين والرسل والمهتدين. ثم قال الراهب فأخبرني عن الاثنين من تلك الأربعة أحرف التي في الارض ماهي ؟ قال أخبرك بالاربعة كلها أما اولهن فلا الله الا الله وحده لا شريك له باقياً، والثانية محمد رسول الله صلى الله عليه واله مخلصاً، والثالثة نحن اهل البيت، والرابعة شيعتنا منا، ونحن من رسول الله صلى الله عليه واله، ورسول الله صلى الله عليه واله من الله بسبب، فقال له الراهب: اشهد ان لا الله الا الله وحده لا شريك له، وان محمد رسول الله، وان كل ما جاء به من عند الله حق، وانكم صفوة الله من خلقه، وان شيعتكم المطهرون المستذلون، ولهم عاقبة الله والحمد لله رب العالمين، فدعا أبو ابراهيم (ع) بجبة خز وقميص قوهي وطيلسان وخف وقلنسوة فأعطاه اياها وصلى الظهر وقال له اختن، فقال:قد اختتنت في سابعي (البحراني، 1993، ص230).

ثانياً:-الأخلاقي والتربوي: على صعيد المجال الفكري والعلمي قام الإمام (ع) بما يلي:

1- سعى الامام لتربية شيعته على اساس تقوية أواصر الإخوة والمحبة الايمانية بحيث تصبح الجماعة الصالحة قوة اجتماعية متماسكة لايمكن زعزعتها أو تضعيفها لقوة الترابط العقائدي والروحي فيما بينها.

ومن ذلك مادار بين الامام (ع) وبين احد أصحابه حيث سأله الامام قائلاً له: (ياعاصم كيف انتم والتواصل والتبار؟ فقال على أفضل ما كان عليه احد. فقال (ع): أياتي أحدكم عند الضيقة منزل اخيه فلا يجده، فيأمر باخراج كيسه فيخرج فيفض ختمه فيأخذ من ذلك حاجته، فلا ينكر عليه؟ قال:لا، قال:لستم على ماحب من التواصل في الضيقة والفقر)

2- كان الامام حريصاً على محاربة المحسوبية واستغلال القرابة وهي من أهم الركائز التي اعتمدها الحكم العباسي وكانت هي الحاكمة فوق المقاييس كلها، لذا نجده (ع) يعلن مقاطعته لعمه محمد بن عبدالله الأرقط إمام الناس فلم يسمح له بالتسلق وصولاً للمواقع أو استغلالاً لها.

فعن عمر بن يزيد قال: كنت عند أبي الحسن (ع) فذكر محمد بن عبدالله الأرقط فقال (اني حلفت ان لا يظلني واياه سقف بيت. فقلت في نفسي:هذا يأمر بالبر والصلة ويقول هذا لعمه! قال:فنظر الي فقال:هذا من البر والصلة، انه متى يأتيني ويدخل علي فيقول يصدقه الناس واذا لم يدخل علي، لم يُقبل قوله اذا قال) (المجلسي، 1983، ج48، ص160)

3- سعى الامام لتربية المجتمع من خلال حض المسلمين على قضاء حوائج بعضهم ومن ذلك الكتاب الذي بعثه الى علي بن طاهر الصوري وفيه: (بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه الا من اسدى الى اخيه معروفاً، او نفس عنه كربة، أو ادخل على قلبه سروراً، وهذا اخوك والسلام)

4- حض الناس على عدم أكل أموالهم بينهم بالباطل ومن ذلك جباية الأموال جهراً وإرجاعها اليهم سراً فعن علي بن يقطين قال قلت لأبي الحسن (ع) ماتقول في أعمال هولاء؟ قال: (ان كنت لابد فاتق الله في اموال الشيعة) فقال الراوي:فأخبرني علي انه كان يجبيها من الشيعة ليلاً ويردها اليهم سراً (المجلسي، 1983، ج48، ص158)

5- وكان الامام (ع) يقوم بتربية المجتمع دون إن يبرز شخصيته بحيث كان الناس لايعلمون من يكون الا بعد ان يغادرهم ومن ذلك ما جرى بين شقيق البلخي[1] والامام (ع) في موسم الحج.

---

1 - شقيق بن براهيم ابو علي البلخي، كان من كبار مشايخ التصوف في خراسان وقيل هو اول من تكلم في علوم الاحوال مات سنة 194هـ (البحراني، 1993، ص233)

حيث يقول شقيق خرجت حاجاً في احدى السنين فنزلت القادسية (قرية قرب الكوفة) فبينما انا انظر الى الناس فنظرت الى فتى حسن الوجه شديد السمرة، ضعيف، فوق ثيابه ثوب من صوف وقد جلس منفرداً فقلت في نفسي: هذا فتى من الصوفية يريد ان يكون كلاً على الناس والله لأمضين اليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق (اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) ثم تركني ومضى فقلت في نفسي ان هذا الامر عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي ثم قلت في نفسي لألحقنه ولأسألنهُ ان يحللني فأسرعت في أثره فلم أجده، فلما نزلت منطقة واقصة (وهي في طريق مكة) واذا به يصلي وأعضاوءه تضطرب ودموعه تجري فصبرت حتى جلس واقبلت نحوه فقال لي ياشقيق: (اني غفار لم تاب وامن وعمل صالحاً ثم اهتدى)

ثم تركني ومشى فقلت في نفسي ان هذا الفتى على امرعظيم لقد تكلم بما في نفسي مرتين، ولما نزلنا في منطقة اخرى اذا بالفتى واقف عند البئر وسقطت من يده الركوة (إناء الماء) فرفع رأسه الى السماء وقال:الهم سيدي مالي غيرها فلا تعدمنيها، قال شقيق: والله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها فمد يده واخذ

الركوة وملأها ماء، فلما دخلنا مكة رايته في وسط الليل قائماً يصلي بخشوع وانين وبكاء فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ثم صلى صلاة الصبح وطاف بالبيت وخرج فسألت عنه بعض الناس فقالوا:هذا موسى بن جعفر فقلت عجبت ان تكون هذه العجائب الا لمثل هذا السيد (الطبري، 1963، ص155) (البحراني، 1993، ص238).

نستنتج من هذه القصة عدة ابعاد تربوية للامام (ع) منها:

أ- كان (ع) يسافر مع اناس لايعرفونه حتى لايخدمه احد بل كان يخدم نفسه بنفسه ويخدم الناس بكل تواضع وهو حجة الله على خلقه.

ب- كان (ع) في مواسم الحج يركن الى الانعزال والتأمل والعبادة والذكر فلا يصرف اوقاته هدراً بلا فائدة ليذكرالناس بقدسية المكان ولكي يتخذون من فريضة الحج ملتجاً الى الله وطريقاً للوصول اليه وليس للهو والتسوق.

ج- برهن لشقيق انه امام وحجة عليه وعلى الناس لانه يعرف ما دار في نفسه من حديث واجابه عليه.

د- تشجيع المسلمين على حفظ القران فهو الحجة الدامغة والذكر المنجي والدستور الالهي ويتضمن كل يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم.

6- واصل الإمام (ع) تصديه للانهيار الأخلاقي الذي تفشى في العصر العباسي عامة وفي عهد المهدي والهادي خاصة من خلال أسلوب تربوي ذي تأثير كبير ولايلفت اليه الانظار ولاسيما انه كان مراقباً من لدن السلطات وهو أسلوب النصائح والكلمات القصيرة ذات المفردات القليلة والمعنى الكبير فمن خلال هذا الاسلوب استطاع الامام التوغل الى قلب المجتمع وتنقيته من الاخلاقيات الفاسدة ومن تلك الكلمات قال (ع):

1- ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

2- لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك وأبق منها فان ذهابها ذهاب الحياء.

3- أفضل مايتقرب به الى الله بعدالمعرفة برالصلاة وبرالوالدين وترك الحسدوالعجب والفخر

4 - وقال لعلي بن يقطين:كفارة عمل السلطان الإحسان الى الإخوان

5- التودد الى الناس نصف العقل.

6- من احزن والديه فقد عقهما.

7- من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة ومن بدر واسرف زالت عنه النعمة

8- وقال عند قبر حضره ((ان شيئاً هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله ان شيئاً هذا اوله لحقيق ان يُخاف اخره)) (الحراني، 2008، ص30)

- المبحث الرابع -

ملامح العصر العباسي في عهد هارون الرشيد (170هـ)حتى وفاة الامام (ع) (184هـ)

الرشيد: هو هارون أبو جعفر المهدي محمد بن المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس. وأمه أم ولد، تسمى الخيزران وهي أم الهادي، استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة (170هـ)، وكان ابيض، طويلاً، جميلاً، مليحاً، فصيحاً له نظر في العلم والأدب.

اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره، وزراؤه البرامكة، وقاضيه ابو يوسف، وشاعره مروان بن ابي حفصة، ونديمه العباس بن محمد عم أبيه، وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس وأعظمهم، ومغنيه إبراهيم الموصلي، وزوجه زبيدةوان اخبار الرشيد يطول شرحها، ومحاسنها جمة، وله أخبار في اللهو واللذات المحظورة والغناء (اليعقوبي، ج2، 1425، ص407) (السيوطي، 2003، ص336-339).

- أبرز الأحداث التي جرت في عهد هارون الرشيد

1- أشيع في البلاد الاسلامية في عهد الرشيد كل أنواع الفساد وتحولت بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية الى مسرح للهو والرقص وحانات الخمور ودور المجون حتى أصبحت سمة بارزة يتميز بها ذلك العصر ونقل لنا الشعراء انطباعاتهم وأحاسيسهم باللهو وحب الجواري والتلذذ بالخمر حيث سخروا مجهودهم الفكري في وصف هذه الأجواء وفننوا الناس بخمرياتهم.

-امتاز عهده بالفقر والبؤس الذي عم الملايين فنجد جموع المسلمين تعرى وتجوع فيما تكدست اموال المسلمين عند طبقة خاصة من الخلفاء وابنائهم وعشيرتهم وعند الوزراء والوشاة والمنتفعين من مائدة الخلافة (ابن عاشور، 2005، ص125).

3- ظهرت الكثير من الحركات الهدامة التي انتشرت في البلاد الاسلامية مثل الخرمية[1] والتي تفرعت منها في ما بعد الزرادشتية والمانوية والمزدكية وان المزدكية احلت النساء وأباحت الأموال وجعلت الناس شركة كاشتراكهم في الماء والنار والكلا. والابو مسلمية (اتباع ابو مسلم الخراساني)وغيرها من الحركات التي كانت تدعو الى التحلل من جميع القيم (حسن، 2001، ص91-92)

4- الإسراف والبذخ بأموال المسلمين وكانت تنفق على المغنين والشعراء والخمارين ويذكر لنا التاريخ ان ابو العتاهية انشد الرشيد ابياتاً وغناه ابراهيم الموصلي بها فأعطى كل واحد منهما مائة الف درهم ومائة ثوب.

5-امتازعهد الرشيد بالعداء للعلويين فقد كان شديد الحقد عليهم واقسم حين تولى الخلافة على استئصالهم وقتلهم فقال: والله لاقتلنهم ولاقتلن شيعتهم، وفعلاً نفذ قسمه وممن قتلهم من العلويين، يحي وإدريس ابنا عبدالله وأبوهما عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب وغيرهم (الاصفهاني، 2004، ص338-406)

6-قام بهدم قبر الأمام الحسين (ع) عندما راى جموع الزوار تتزايد لزيارته وقام بهدم الدور المجاورة له واقتلاع السدرة التي كانت الى جانب القبر ولم يكفه ذلك حتى قام بحرث ارض كربلاء ليمحو بذلك كل اثر للقبر الشريف (ابن عاشور، 2005، ص124).

7- كان الرشيد شديد التعلق بلعب القمار (النرد) و (الشطرنج)وبذل الاموال الطائلة من اجل هذه الالعاب وكان ايضاً من المدمنين على شرب الخمر وكان يدعو خواص جواريه اذا أراد الشراب (الاصفهاني، د.ت، ج9، ص126-127)

1-الخرمية: ومؤسسها بابك الخرمي وقيل سميت بهذا الاسم نسبة الى خرما امرأة مزدك التي اضطلعت بنشر عقائد هذه الحركة بعد قتل زوجها، ومن مبادئهم تحويل الملك من العرب المسلمين الى الفرس المجوس وهم بذلك قد أثاروا حرباً شعواء على العرب والمسلمين، وتأليه البشر ويقولون بالتناسخ ويدعون ان كل الرسل على اختلاف شرائعهم يحصلون على روح واحدة وان الوحي لاينقطع ابدا (حسن، 2001، ص91-92)

وكان مولعاً بالجواري حريصاً على الاستمتاع والتلذذ بهن ويقول الشعر فيهن ومن ذلك ما قال ابيات في ثلاث جوار:

ملك الثلاث الغانيـات عناني وحللن من قلبي بكل مكانِ

مالي تطاوعني البرية كلهـا واطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك الا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطاني (ابن الجوزي، ج7، د.ت، ص326)

8- تسلط الفرس البرامكة على زمام الحكم وذلك بسب وثوق الرشيد بهم ففوض اليهم أمور دولته حتى صار الناس ينظمون القصائد الرائعة في مدحهم والتغني بكرمهم وجودهم الذي كان مضرب الأمثال والفضل يرجع الى أموال المسلمين الذين وكان الغالبية العظمى منهم يعيشون في فقر وبؤس (حسن، 2001، ص53)

9- وفي عهد الرشيد تحولت النزاعات والخلافات القديمة بين اليمانيين والعدنانيين في سورية الى حرب طاحنة ومستمرة وبقيت دمشق زهاء سنتين مسرحاً للانقسامات والحروب الداخلية ولم يكن الرشيد يهتم بل كان يرى على العكس من ذلك انه قد افاد منها لانها اضعفت قوة اهالي هذه البلاد الذين ثبت عنده عدم اخلاصهم وولائهم للعباسيين.

10- قام الولاة الذين عينهم الرشيد على أمصار الدولة المترامية الاطراف باتباع سياسة تنطوي على الظلم والتعسف واغتصاب الاموال من الاهالي ومنهم علي بن عيسى بن ماهان والي خراسان حيث كان يرسل الى الخليفة كثيراً من الهدايا والطرف التي بهرته فاستفز بعمله كبراء خراسان فكتبوا الى الرشيد يستغيثون به فعزم على الخروج لمحاربة علي بن عيسى وعسكر في الري فلما بلغ ذلك علياً قابل الرشيد بهدايا أنفس من الهدايا الأولى ووزع مثلها على رجال بلاطه فاطمأن الرشيد من جانبه ثم عاد هذا الوالي الى سيرته الاولى في ظلمه واستبداده وسجن من سعى به الى الخليفة (حسن، 2001، ص47)

ونستنتج من هذه الحادثة ما ياتي:-

أ- تمادي الولاة في سياسة الظلم والتعسف وهذا بعلم الخليفة

ب- الرشوة التي كانت مستشرية في المجتمع وخير دليل ارشاء الخليفة وهنا بيت شعري يقول: (اذا كان ربُ البيتِ بالدف ناقراً فما شيمـةُ أهـل البيتِ)

ج- زج الناس في السجن لا لتهمة او جريمة وانما لشكواهم من الظلم.

د- وهذا التعسف ان دل على شيء فهو يدل على السكوت والخوف من التكلم على ظلم الخليفة او احد ولاته.

11- قام بسجن الامام الكاظم (ع) اكثر من مرة ثم يخرجه ويعتذر اليه ويرده الى المدينة معززاً مكرماً حتى كانت اخر مرة سجنه فيها بوشاية ابن اخيه محمد بن اسماعيل واستشهد فيها (ع). (الفراتي، 2004، ص244)

ونستنتج من هذا عدة امور منها:

أ- خوفه من التقاء الناس بالأمام (ع) وتأثرهم بشخصيته والتفافهم حوله من علماء وطلاب الحق والمضطهدين والمتضررين من سياسة الرشيد وبالتالي اتساع رقعة الامام (ع)

ب- خوف الرشيد من قيام الناس بثورة ضده وتنصيب الامام (ع) خليفة بدلاً عنه لتيقنهم بانه أحق بالخلافة خاصة وانه حجة ومفترض الطاعة من لدن الله سبحانه وتعالى

ج- التمهيد لقتل الامام (ع)لانه واصل اتصاله وعمله وإرشاده من داخل جدران السجن

دور الامام الكاظم (ع) في عهد هارون الرشيد

ان السنين التي قضاها الامام (ع) في عهد الرشيد كانت أسوأ ما مر عليه في حياته أذ عاصر فيها هارون مدة (14)عاماً وأشهراً فكانت حافلة بالآلام والمصاعب فقد سخر اجهزته لمراقبة الأمام (ع) واستدعاه الى بغداد أكثر من مرة في مطلع خلافته وهو حاقد عليه وكان يضعه في سجنه ثم يأمر بإخراجه بعد مدة من الزمن، واحياناً كان يتظاهر بإكرامه وتعظيمه دجلاً ونفاقاً (الحسني، 1977، ص341)

ويرى الباحث ان من نتيجة اتباع هذه السياسه مع الامام (ع) هي لمعرفة رد فعل الناس على سجنه ولشل حركته وعزله عن القواعد الشعبية وتمهيداً لسجنه مدة طويلة حتى يتم تصفيته بعيداً عن أعين الناس، ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن حيث كان من نتائج هذا الحصار والتضييق الذي اتبعه الرشيد مع الامام (ع) انه لم يقف مكتوف الايدي ولم تكن مواقفه استسلامية بل كان يتحدى الرشيد من داخل جدران السجن فذاع صيته في العراق والحجاز وجميع المناطق وقصده العلماء وطلاب العلم ورجع الى القول بإمامته اولئك الذين انحرفوا عنه بالأمس والتف حوله الشيعة يجبون اليه خمس أموالهم وزكاتها ولم يكن يخفى على الرشيد شيء من ذلك.

نشاط الامام الكاظم (ع) في عهد في هارون الرشيد في المجال:-

اولاً:- الفكري والعلمي

على صعيد المجال الفكري والعلمي قام الإمام (ع) بما يلي:

1- تمثل عطاء الامام (ع) الفكري والعلمي في عدة نواحٍ منها الرواية والتدريس والمناظرة والتأليف في الحقول العلمية كافة ويشهد بذلك التراث العلمي الذي وصلنا عن الامام ونلمس ذلك من خلال مطالعة مسنده الذي يبلغ ثلاثة اجزاء فيما يقرب من الف صفحة تقريباً.

2- امداد المجتمع بفقهاء وعلماء من أصحابه بعد تهيئتهم من خلال التواصل العلمي والفقهي مع الامام (ع) حيث اخذوا بعد ذلك على عاتقهم مهمة التثقيف الديني والاخلاقي حتى بعد استشهاد الامام (ع) فاصبحوا علماء بارزين وامدوا المكتبة الشيعية بمؤلفات كثيرة ومنهم هشام بن الحكم وصفوان بن يحي بياع السابري وعلي بن الحسن الطاطري والحسن بن محبوب السراد وغيرهم.

3- ركز الامام (ع) على قواعد منهج الاستنباط والتفقه في الدين وذلك من خلال تراثه الذي يحوي على نصوص ترتبط بحرمة القول بغيرعلم وحجية الظواهر وحجية الخبر الواحد، وكذلك نصوص ترتبط بعلاج حالات التعارض بين الاحاديث ونصوص ترتبط بالمنع من القياس واصالة البراءة ووجوب الموافقة القطعية في اطراف العلم الاجمالي والاستصحاب وعدم الرجوع الى الاصل قبل الفحص عن الدليل (ابن عاشور، 2005، ص153).

4-يصف الأمام (ع)علمه كالبحر وما اعطى منه كالقطرة ومن ذلك تكلُمه بكل اللغات الموجودة في عصره والتي لم يكتسبها الامام عن طريق التعلم بل عن طريق الاعجا ز الالهي الذي خصه الله تعالى به لكي يهدي الناس غير المسلمين والبعيدين عن البقاع العربية الى الاسلام من خلال التكلم معهم كلاً حسب لغته.

فعن علي بن أبي الحمزة شاهد الامام يتحدث الحبشية مع حبشي فتعجت من ذلك فالتفت اليه الإمام قائلاً: لعلك عجبت من كلامي إياه بالحبشية لاتعجب فما خفي عليك من أمر الإمام أعجب وأكثر وما هذا من الإمام في علمه الا كطير اخذ بمنقاره من البحر قطرة من مائه افترى الذي اخذه بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ فان الإمام بمنزلة البحر لاينفد ماعنده وعجائبه اكثر من ذلك (التبريزي، 2004، ج4، ص168) (الطبري، 1963، ص170)

5- ومن الانشطة الفكرية التي استخدمها الائمة عليهم السلام ومنهم الامام الكاظم (ع) هي المناظرات لهدي الناس الى الإسلام أو لرد شبهة أو لاثبات حق إمام الجاحدين والمنكرين له.

ومن ذلك سأل الرشيد الامام الكاظم (ع) يوماً:كيف قلتم نحن ذرية رسول الله (ص)وانتم بنو علي وإنما ينسب الرجل الى جده لأبيه دون جده لامه؟ فكيف يقال لكم اولاد رسول الله وانتم أولاد علي بن أبي طالب؟

قال الامام (ع)((لان الله سمانا أولاد رسول الله في كتابه)). الرشيد: واين هذا؟

قال الامام (ع)((قال الله تعالى (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى) وليس لعيسى أب وإنما الحق بذرية الانبياء من لدن أمه مريم وكذلك الحقنا بذرية النبي (ص) من قبل أمنا فاطمة، وقال تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم) ولم يدع النبي عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهم الابناء)) (العاملي، 1978، ص138) (ابن الصباغ، 1962، ص224)

ثانيا:- الاخلاقي والتربوي

على صعيد المجال الاخلاقي والتربوي قام الإمام (ع) بما يلي:

1- عمل الامام (ع) على اشاعة مفهوم مهم في حياة كل انسان الا وهو (عدم الركون الى الظالمين)فمن أساليب التربية التي اتبعها مع أصحابه هي تحذيرهم من إعانة الحاكم الظالم على ظلم الناس ومد يد العون له على ذلك مما يؤدي الى تماديه في طغيانه وظلمه.

ومن ذلك ما حدث مع صفوان الجمال [1] فعندما سمع الامام (ع) بأنه يكري جماله لهارون الرشيد قال له: ((ياصفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيء واحد))، فقال: جعلت فداك ي شيء هو؟ قال: أكراك جمالك لهارون الرشيد، فقال: والله ما اكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد أو لهو، ولكني أكريته لطريق مكة ولا أتولاها بنفسي وإنما ابعث معها غلماني، فقال له الامام (ع):ياصفوان الست تحب بقاءهم الى ان يخرج كراك منهم ؟ قلت نعم ياابن رسول الله، قال: ((فمن أحب بقاءهم فهو منهم ومن كان منهم فقد ورد النار)) (الحسني، 1977، ص325).

2- حرص الامام على قضاء حوائج المؤمنين واهتم بها وهو في احلك الظروف واشدها قساوة، وحض شيعته على التمسك بهذا المبدأ الاخلاقي بل امر بعض الخواص بالبقاء في جهاز السلطة الظالمة لاجل قضاء حوائج المؤمنين.

فعن محمد بن سالم قال:لما حمل سيدي موسى بن جعفر (ع) الى هارون الرشيد جاء اليه هشام بن إبراهيم العباسي، فقال له:ياسيدي قد كُتب لي صك الى الفضل بن يونس تسأله ان يروح أمري. قال: فركب اليه أبو الحسن (ع) فدخل حاجب الفضل عليه فقال:ياسيدي أبو الحسن موسى (ع) بالباب فقال له:فان كنت صادقاً فأنت حر ولك كذا وكذا! فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو حتى خرج اليه فوقع على قدميه يقبلهما ثم سأله أن يدخل، فدخل فقال له: ((أقض حاجة هشام بن ابراهيم)) فقضاها.

3- تأكيد الامام (ع) على الانتماء الاخلاقي والعقائدي لمنهج أهل البيت في نفوس شيعته في كافة المواقع والوظائف التي يشغلونها وان كانت ضمن الوظائف القريبة من الرشيد على ان يخفون ذلك للحفاظ على حياتهم.

ومن ذلك ما رواه علي بن يقطين انه كتب الى موسى بن جعفر (ع):أُختلف في المسح على الرجلين، فإذا رأيت ان تكتب ما يكون عملي عليه فعلت، فكتب أبو الحسن (ع)((الذي أمرك به أن تتمضمض ثلاثاً، وتستنشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلل شعر لحيتك ثلاثاً، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنها وتغسل رجليك ثلاثاً، ولا تخالف ذلك الى غيره)) فامتثل أمره وعمل عليه. فقال الرشيد:أحب ان استبرىء أمر علي بن يقطين فانهم يقولون أنه رافضي والرافضة يخففون في الوضوء، فناطه بشيء من الشغل في الدار حتى دخل وقت الصلاة ووقف الرشيد وراء حائط الحجرة بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو، وقد بعث اليه بالماء للوضوء فتوضأ كما أمره الامام (ع)، فقام الرشيد وقال:كذب من زعم انك رافضي فورد على علي بن يقطين كتاب موسى الكاظم (ع): ((توضأ من الان كما امر الله:اغسل وجهك مرة فريضة، والاخرى

1 – صفوان بن مهران الجمال من تلامذة الأمام الصادق (ع) روى عنه ولازم بعده الامام الكاظم (ع) وأصبح من أشهر تلامذته واخذ عنه الفقه والحديث وألف فيهما.

اسباغاً، فاغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح مقدم راسك، وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك فقد زال ما يُخاف عليك)) (الطبرسي، 1970، ص304) (التبريزي، 2004، ج4، ص212).

4- ومن الأساليب التربوية التي حض الامام شيعته عليها هي التأكيد على مبدأ التقية وأهمية الالتزام بها كقيمة تحصينية تحافظ على الوجود الشيعي وتقيه من عيون الخليفة المترصدة لاتباع أهل البيت.

فقد روى معمر بن خلاد قال:سألت ابا الحسن موسى (ع) عن القيام للولاة فقال (ع):قال ابو جعفر (ع):((التقية ديني ودين ابائي، ولا ايمان لم لاتقية له))

5- كان للامام اسلوب تربوي ورثه عن ابائه عليهم السلام تصدى فيه للانهيار الأخلاقي الذي تفشى في العصر العباسي عامة وفي عهد الرشيد خاصة، وهذا الاسلوب لا يوجه الانظار اليه ولاسيما انه كان متخذ مبدأ التقية حيث كان مراقب من لدن السلطات فكان تصديه هذا من خلال الادعية القصيرة ذات المعنى الكبير فكانت رسائل يبعث بها الى شيعته والمجتمع عامة كالصعقة الكهربائية تعيد الى قلب المجتمع الاسلامي دقاته الاخلاقية بعد ان توقفت بسبب سياسة العباسيين وفجورهم ومن تلك الادعية:

عن محمد بن سليمان عن ابيه قال:خرجت مع ابي الحسن موسى بن جعفر (ع) الى بعض امواله، فقام الى صلاة الظهر، فلما فرغ منها خر لله ساجداً فسمعته يقول بصوت حزين وتغرغردموعه: ((ربي عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت وعزتك لاكمهتني [1]، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزتك لأصممتني، وعصيتك بيدي ولو شئت وعزتك لكنعتني [2] وعصيتك برجلي ولو شئت وعزتك لجذمتني، وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزتك لأعقمتني، وعصيتك بجميع جوارحي

التي أنعمت بها علي وليس هذا جزاوك مني)). قال:ثم احصيت له الف مرة وهو يقول: ((العفو العفو))

قال: ثم الصق خده الايمن بالأرض فسمعته وهو يقول ثلاث مرات بصوت حزين: ((بؤت اليك بذنبي، عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي فانه لايغفر الذنوب غيرك يا مولاي)) ثم الصق خده الايمن بالأرض وهو يقول ثلاث مرات بصوت حزين: ((ارحم من أساء واقترف واستكان واعترف)) ثم رفع راسه (البحراني، 1993، ص305).

الابعاد التربوية التي قصدها الامام من الادعية:

ان الامام (ع) معصوم ومعنى العصمة (انه يفعل الواجب مع قدرته على تركه ويترك المحرم مع قدرته على فعله ولكنه مع ذلك لم يترك واجباً ولم يفعل محرما) فاذا كان الامام كذلك أذن نستنتج

أ- انه أراد أن يقول أنا الامام المعصوم وهذا كلامي وتذللي وخضوعي وخشوعي بين يدي الله فأتخذوني أسوة وتقربوا الى الله تعالى بالخضوع والتذلل والخشوع والاعتراف بالذنب وطلب الرحمة والمغفرة.

ب- اعطى الامام (ع) اسلوب تربوي في كيفية مخاطبة الله سبحانه وتعالى فيجب ان يكون الدعاء باللفظ المعبر والمعنى المقصود والمفردات العالية وهذا نجده في أدعية أهل البيت التي تركوها ارث لنا لانهم الوسيلة الى الله والناطقين عن رسول الله وقد قال سبحانه في رسوله ((وما ينطق عن الهوى أن هو الا وحي يوحى)) ويقول الرسول (ص) ((أولنا محمد وأوسطنا محمد وأخرنا محمد وكلنا محمد))أذن كلام الائمة هو كلام الرسول وكلام الرسول هو كلام الله تعالى وقال السيد الطبطبائي في تفسير الميزان (أبى الله ألا ان يمدح نفسه على لسان عباده) ومن هنا كان الدعاء من الله لرسوله (ص) ومن ثم لأهل بيته وهم مصداق العبودية.

ج- تصور حالة الخضوع الجسمي للامام اثناء الدعاء من خلال الصاق خده الايمن والايسر على الارض ليقول انا حجة الله على خلقه وهذا حالي اذن مهما ارتفعت مكانة الانسان ومهما كان منصبه فهو عبد ذليل امام خالقه.

1- الكمه:العمى

2-كنعه: كسر يده

- اعتقال الامام موسى الكاظم (ع)

هناك دائماً سؤال يطرح وعلى مر السنين لماذا أمر هارون باعتقال الامام الكاظم (ع)؟

وبعد التقصي وجدنا الاجابة في عدة أسباب مباشرة وغير مباشرة منها الا وهي:-

أولاً:- الاسباب غير مباشرة

السبب الاول:- كان هارون يحسد الامام (ع) للمكانة الدينية والاجتماعية التي كانت للامام والتي لم يحصل عليها هارون مدى حياته بكل امكاناته المادية والسلطوية وذلك لان الامامة منصب الهي والله سبحانه وتعالى هو الذي مد الامام بهذه المكانة وجعل افئدة الناس تهوي اليه اولاً، والصفات الاخلاقية التي تحلى بها الامام (ع) والتي ورثها من جده الرسول (ص) ومدحه الله تعالى عليها ثانياً، فكان الرشيد يعد الامام هو الحاجز بينه وبين الناس.

السبب الثاني:- دائما ما كان هارون يشعر بالخطر من الثورة التي قد تقام عليه مع أن الامام (ع) لم يكن في صدد النهضة ابداً ولم يقدم على أي شيء من (الثورة الظاهرية) لكن الرشيد دائماً كان متيقناً من ان الامام (ع) قد أعلن ثورة روحية عقائدية.

السبب الثالث:- كان هارون يعتقد بان خلافته ناقصة وحكمه على الناس مُشارك فيه لان هناك من تتوجه اليه الناس دونه وهو الامام (ع).

السبب الرابع:- كثرة الوشاة والحاسدين والمنافقين والمتزلفين للخليفة والذين يستغلون حقده على الأمام (ع) فيدسون ويلفقون الاكاذيب والافتراءات عليه بأنه يجمع الاموال للقيام بثورة وغيرها في سبيل التقرب الى الخليفة والحصول على بعض العطايا.

السبب الخامس:- كان مجرد وجود الامام (ع) يُشعر الرشيد بالخوف والخطر وكان دائماً ما يقول للأمام: (وجودك ذنب) فيكفي وجوده حتى يعتبره هارون مذنباً فعندما كان الأمام يسأله عن السبب وأي ثورة قد قام بها وماذا فعل؟لم يكن لدى هارون جواب ولكن لسان حاله يقول: (وجودك ذنب) (مطهري، 2003، ص146)

ثانياً:- الأسباب المباشرة

السبب الاول:- خطط الرشيد لجعل ولاية العهد الى أولاده الثلاثة الامين والمامون والمؤتمن على ان يدعو العلماء وذوي المراكزفي البلاد للمجيء هذه السنة الى مكة حيث يأتي الخليفة اليها ويشكل مؤتمرعظيماً لأخذ البيعة من الجميع، لكن وجود الامام (ع) يكون مانعاً أمام تنفيذ هذه الخطة لذلك رأى ان يصدر مرسوماً باعتقال الامام ليتسنى له اخذ البيعة، وبمجرد وصوله الى المدينة زار الرسول (ص) ووقف امام القبر الشريف وخاطب الرسول (ص) بقوله (بأبي انت وأمي يارسول الله أني أعتذر اليك من أمر قد عزمت عليه فأني اريد ان آخذ موسى بن جعفر فاحبسه لأني قد خشيت أن يلقي بين أمتك حرباً تسفك فيها دماؤهم) (الصدوق، 2008، ص97)

وفعلاً أصدر هارون الأمر فذهب جلادوه الى الامام (ع)فصادف انه لم يكن في المنزل وانما في مسجد النبي (ص)منشغلاً بالصلاة فلم يمهلوه حتى ينهي صلاته بل اخذوه وجروه جراً من الصلاة فنظر الى قبر جده وقال: ((السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياجداه انظر الى أمتك ماذا تفعل بأبنائك)) (مطهري، 2003، ص146)

السبب الثاني:- سعاية محمد بن اسماعيل بن جعفر وهو ابن اخ الامام (ع) فبعد ان قابل الامام (ع) وطلب منه الإذن في الخروج الى العراق فأذن له وقال له محمد ياعم أوصني ,فقال (ع))(أوصيك ان تتقي الله في دمي)), فقال:لعن الله من يسعى في دمك ثم كررها وأعاد عليه الامام (ع): ((أوصيك ان تتقي الله في دمي)) ثم ناوله الامام صرة فيها مائة وخمسون فقبضها محمد ثم ناوله الثانية بنفس المبلغ والثالثة بنفس المبلغ ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت معه وعندما قيل له في ذلك، قال ((هذا ليكون أوكد لحجتي اذا قطعني ووصلته)).

فعندما وصل محمد بن اسماعيل بن جعفر الى العراق ودخل على هارون قال له: يا أمير المؤمنين خليفتان في الارض، موسى بن جعفر في المدينة يجبى له الخراج، وانت بالعراق يجبى لك الخراج؟! فقال:والله؟! قال:والله؟!قال فأمر له

بمائة الف درهم فلما قبضها وحُمل الى منزله أخذته الذبحة في جوف ليلته فمات وحول من الغد المال الذي حُمل اليه (المفيد، 2007، ص440) (البحراني، 1993، ص252) (العاملي، 1978، ص146)

استشهاد الامام الكاظم عليه السلام

كل هذه الاسباب السابقة أدت بالتالي الى قتل الامام (ع) وتصفيته لان الرشيد يعده الند والمنافس له.

فبعد ان اخُذ الامام من مسجد الرسول (ص) وبعد اعتقاله عدة مرات في عدة سجون فمن سجن البصرة بإدارة عيسى بن ابي جعفر فكان لايسمح للامام بالخروج الا للطهور وإدخال الطعام له فانقطع الأمام (ع) للعبادة وكان من دعائه ((اللهم انك تعلم كنت اسألك ان تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد)) ولما سمعت الناس بوجود الامام (ع) في البصرة هبت اليه العلماء وغيرهم فأمرالرشيد عيسى باغتيال الامام (ع) الا انه هاب ذلك وكتب اليه باعفاءه فأمره بحمله الى بغداد فسلمه الى الفضل بن ربيع وبقي عنده مدة طويلة فأراد الرشيد من الفضل ان ينفذ فيه أمرة فابى عليه فكتب اليه بتسليمه الى الفضل بن يحيى وقد وسع هذا على الامام ووضعه في حجرة من داره وكلف من يراقبه وكان الامام مشغولاً بالعبادة واحياء الليل كله بالصلاة والدعاء فاتصل ذلك بالرشيد فأوعز الى الفضل باغتياله فامتنع ولم يجبه فأمر الرشيد بجلد الفضل.

وعلى اثرذلك نقل الامام (ع)الى سجن السندي بن شاهك وأمره بالتضييق عليه فاستجاب الأثيم لذلك فقابل الامام بكل جفوة، والامام صابر محتسب فأمره الطاغية ان يقيد الأمام بثلاثين رطلاً من الحديد ويقفل الباب في وجهه ولا يدعه يخرج للوضوء لكن الأمام مع هذا التضييق كان يتصل بالعلماء ويجيب على الاستفتاءات وينصب الوكلاء وعين ولي عهده.

لم يتحمل الرشيد سماعه لمناقب الامام (ع) ومآثره وانتشارها بين الناس فعمد الى قتله عن طريق رطبة مسمومة الا ان الله تعالى نجاه منها وكانت هذه المحاولة الاولى ثم اوعز بعد ذلك الى السندي بن شاهك بان يسم الامام (ع) فامتثل الملعون لأمر الرشيد ووضع السم في رطب وقدمه اليه فأكل منه وجرى مفعول السم في بدنه فلم يمهله سوى ثلاثة ايام.

ولما قضى نحبه (ع) ادخل عليه السندي جماعة من فقهاء بغداد واعيانها وقال لهم انظروا اليه هل ترون به اثر لضربة سيف أو طعنة رمح ؟ فقالوا لم نجد به شيئاً من ذلك وطلب منهم ان يشهدوا بموته حتف انفه فأجابوه لذلك ثم اخرج جثمانه الشريف ووضعه على الجسر ببغداد ونودي عليه: هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة انه لا يموت قد مات فانظروا اليه فجعل المارة ينظرون اليه فلا يجدون به اثراً يوحي بقتله ثم حملوه ودفنوه في مقابر قريش ببغداد وكانت مقبرة لبني هاشم واشراف الناس (الطبرسي، 1970، ص310) (ابن الصباغ، ص1962، ص225) (اليعقوبي، ج2، 1425، ص414).

- الخاتمة -

أدرك الامام موسى الكاظم (ع)من حياة أبيه (20)عاماً ورأى أباه وهو يتعرض لتحديات المنصور وتهديده بالقتل تارة والحبس اخرى وقد سخر أجهزته لمراقبته في جميع حالاته حتى اضطر لان يتستر بالنص عليه حتى عن عامة الشيعة ولم يرشد اليه الا فئة من خلص أصحابه وأوصاهم بالتكتم والحذر وقد استقبل الامام الكاظم (ع) أمامته التي استمرت (35) عاماً في هذا الجو المشحون بالحقد والكراهية لأهل البيت والظاهر من الروايات انه بقي طوال حياته يتقي شر العباسيين ولا يسمح حتى لشيعته وتلامذته من الاتصال به بالطريقة التي اعتادوها في عهد ابيه وحتى ان رواة أحاديثه قلما كانوا يروون عنه باسمه الصريح بل بكنيته تارة فيقول الراوي:سمعت أبا إبراهيم أو أبا الحسن وبألقابه الأخرى كالعبد الصالح والعالم والسيد ونحو ذلك مما يدل على ان الحكام الذين عصرهم كانوا يراقبونه بدقة ويحصون عليه وعلى أصحابه انفاسهم وكان هو بدوره يؤكد على أصحابه وخاصته ان يستعملوا التقية حتى في أمور دينهم وعباداتهم كي لا يتعرضوا للخطر والانتقام من حكام زمانه.

والتقية معناها ليس كما يتبادر الى ذهن البعض بانها السكوت وعدم الحركة والرضا بما يفعل الخليفة خوفاً، كلا معنى التقية من وقى الشيء أي حفظه مما يؤذيه اويضره وقد استخدمها الامام (ع) للحفاظ على الدين والأنفس ليكون الدفاع عنهما سرياً وبعبارة أخرى التستر في العمل تضرب أكبر قدر ممكن ويصلك اقل قدر ممكن من الضرر وليس معناها التخلي عن الجهاد حاشاه كما يتراءى للبعض.

ومن هنا كان دفاع الامام (ع) عن الدين في كافة المجالات الفكرية والتربوية وهي محور موضوع البحث والاجتماعية والسياسية وغيرها من المجالات حتى وهو داخل السجن.

- فعلى الصعيد دورالامام (ع) الفكري والعلمي توصل الباحث الى عدة نتائج منها:-

1- قام الامام الكاظم (ع) بتصحيح المسار العقائدي في الإسلام من خلال استخدام أسلوب المناظرة العلمية فكان (ع) يناظرالملحدين والمنحرفين من المسلمين أصحاب الفرق المنحرفة التي تبناها علماء السوء ووعاظ السلاطين أو لرد شبهه أو لاثبات حق، وكذلك من خلال الإجابة على أسئلة فقهاء وقضاة الخليفة والمتبعين لسياسته تملقاً وتزلفاً والتي يقصدون بها إحراج الامام (ع) وتقليل مكانته وقد كشف لهم وللناس ولكثير من المرات ومن خلال الاجابات العلمية ذات الدليل العقلي والنقلي انه عالم وأحق بالاتباع وهو الامام المفترض الطاعة من لدن الله سبحانه وتعالى.

2- ركز الامام (ع) على قواعد منهج الاستنباط والتفقه في الدين وذلك من خلال تراثه الذي يحوي على نصوص ترتبط بحرمة القول بغيرعلم وحجية الظواهر وحجية الخبر الواحد، وكذلك نصوص ترتبط بعلاج حالات التعارض بين الاحاديث ونصوص ترتبط بالمنع من القياس وأصالة البراءة ووجوب الموافقة القطعية في أطراف العلم الإجمالي والاستصحاب وعدم الرجوع الى الأصل قبل الفحص عن الدليل.

3- واصل الامام الكاظم عليه السلام ما كان قد بدأهُ أبوه الصادق (ع) في المدرسة التي أسسها من القاء الدروس والمحاضرات فعمل على احتواء هذه المدرسة الفذة واحتواء رجالها المخلصين وكان يأمرهم بتدوين العلم وبثه في الناس للرد على سياسة التجهيل التي شنها بنو العباس ومحاولتهم الخلط بين ما هو أصيل ودخيل بهدف تضليل الأمة وقام (ع) بإعداد نخبة من الفقهاء والعلماء ورواة الحديث من أصحابه بعد تهيئتهم من خلال التواصل العلمي والفقهي معه (ع) حتى ذكر له (319) صحابياً كل منهم تلقى العلم والمعرفة من الامام الكاظم (ع)أذ اخذوا بعد ذلك على عاتقهم مهمة التثقيف الديني والأخلاقي حتى بعد استشهاد الامام (ع) فاصبحوا علماء بارزين وامدوا المكتبة الشيعية بمؤلفات كثيرة ومنهم هشام بن الحكم وصفوان بن يحيى بياع السابري وعلي بن الحسن الطاطري والحسن بن محبوب السراد وغيرهم.

4-ركز الامام الكاظم (ع) على ضرورة الانتماء الفكري والمعرفي لمدرسة أهل البيت (ع) في تثقيف وتوجيه المجتمع وتحرك الامام بهذا الاتجاه مستغلا النهضة العلمية والفكرية التي حققها الامام الصادق (ع) من قبل فقام بإكمال عمل أبيه في بناء الكادر المتخصص فامتدت قواعده من هذا النوع

- وعلى الصعيد دورالامام (ع) الاخلاقي والتربوي توصل الباحث الى عدة نتائج منها:-

1- كان للائمة عليهم السلام اسلوباً تربوياً لا يرتقي اليه الا من اتقى الله حق تقاته ومنهم الإمام الكاظم (ع) وهواعطاءه الصدقة ليلاً لستر المحتاج وصيانة ماء وجهه من ذلة السؤال حيث إن الإمام (ع) طول حياته لم يخبر أحداً عن صدقاته الليلة ولكن أدرك الناس انه هو من كان يتصدق لانقطاعها بعد سجنه واستشهاده وذلك لتربية أفراد المجتمع المسلم على هذه الاخلاق والتشجيع على التكافل الاجتماعي لكي لايبقى في المجتمع فقير ومحتاج.

2-ان حُكم الناس لا يتطلب قصوراً وعروشاً وإنما معرفة أحوال الناس وقضاء حوائجهم من خلال التعامل معهم والعيش في بيئتهم لكي يشعر المتصدر لسياسة أمور الناس بآلامهم واحتياجاتهم على ان يكون متواضعاً مهما كان منصبه ويجب ان تكون خدمة الناس هي غايته هذا حجة الله على الارض الامام الكاظم (ع) كان يسافر مع اناس لايعرفونه حتى لايخدمه احد بل كان يخدم نفسه بنفسه ويخدم الناس بكل تواضع.

3- استخدم الامام (ع) اسلوب الكلمات القصيرة ذات المعنى الكبير وهي وسيلة تربوية لا تتطلب منبراً وخطبة أذ استطاع الإمام من خلالها كسرقيود الرقابة المشددة وكانت غايته منها زرع الاخلاق الفاضلة في المجتمع الاسلامي وتصحيح افكار الناس والرجوع بهم الى روح الدين الاسلامي بعد ما قام الخلفاء العباسيون بتشويه صورة الدين لانهم قتلوا وجاروا ونهبوا باسم الدين

4-على المسلم ان يتخذ من أيام ومواسم العبادة سبل انقطاع الله وهذا الامام (ع) في مواسم الحج يركن الى الانعزال والتامل والعبادة والذكر فلا يصرف اوقاته هدراً بلا فائدة ليذكر الناس بقدسية المكان ولكي يتخذون من فريضة الحج ملتجاً الى الله وطريقاً للوصول اليه وليس للهو والتسوق.